أنماط المسرود إليه في روايات طه حامد الشبيب

A Narratee patterns in novels of Taha hamed AL-shebeeb

ماهر فاضل حسون أ.د. محسن تركي الزبيدي
جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم اللغة العربية /فرع الأدب

ملخص البحث:

يُعَدْ المسرود إليه مكونا أساسيا من مكونات الخطاب السردي ؛ لكن الاهتمام بهذا المكون قد تأخر كثيراً خصوصاً عند النقاد والباحثين العرب ، على الرغم من أن الموروث الحكائي العربي متمثلاً بـــ(حكايات الف ليلة وليلة)،(والمقامات)، و(السير) هو الذي نبه النقاد والباحثين الغرب لهذا المكون ؛ لذا فأن اختيار هذا الموضوع يعد محاولة لتسليط الضوء على مكون من مكونات الخطاب السردي كان مهملاً لفترة طويلة ، لذا فالهدف من هذا البحث هو دراسة أنماط هذا المكون في روايات روائي عراقي معاصر هو الروائي المثابر(طه حامد الشبيب) وفهمها فهماً أدق وأعمق، بعدما كان اهتمام الباحثين مقتصراً على عناصر النص السردي الأخرى، كالراوي والمروي والاحداث والزمان والمكان وغيرها ...

ولهذا فإن دراسة المسرود إليه مع عناصر النص السردي الأخرى يجعل من بنية الخطاب أكثر موضوعية من ذي قبل ؛ لأن أركان الأرسال الأساسية من (مُرسِل ومُرسَل ومُرسَل إليه) ستستكمل بدراسة هذا المكون السردي المهم .

summary

A narratee for is considered essential component of narrative discourse components; but the attention of this component was so late, especially for the Arabic critics and searchers, although the Arabic inherited tale represented by "One thousand nights and a night, and the tones", this urged the western critics and searchers for this component; so picking this subject is considered an attempt for highlighting on the component of narrative discourse components which was neglected for a long time. .

Therefore, the aim of this research is to study the patterns of this component in the novels of a contemporary Iraqi novelist, the persistent novelist (Taha Hamed Al-Shebeeb), and to understand them more accurately and deeper, after the researchers' interest was limited to other elements of the narrative text, such as the narrator, the narrator, the events, the time, the place, and others. Therefore, the study of the narrative to it with other elements of the narrative text makes the structure of the discourse more objective than before; Because the basic pillars of transmission from (the sender of the material sent and the addressee) will be completed by studying this important narrative component.

مدخل : أنماط المسرود إليه

أجمع الباحثون في الدراسات السردية على تقسيم المسرود إليه الى نمطين أو نوعين او شكلين، فهو عندهم أمّا أنْ يكون ظاهرياً ، أو غير ظاهرياً (خفياً) ، أو ممسرحاً ، أو غير ممسرحاً، أو أن يكون داخلياً أو خارجياً [١].

والمقصود بالمسرود إليه الظاهري هو الشخص الذي يوجه إليه السرد داخل النص القصصي ذاته ، وليس بالضرورة ان يكون هذا الشخص مشاركاً في الأحداث ، فقد يكون مراقباً أو مفسراً أو معلقا عليها ، وهذا النمط من المسرود إليه يمتلك ملامح وصفات يسهل تحديدها من قبل القارئ[٢].

ويعني بالمسرود إليه غير الظاهري (الخفي) ،هو المسرود إليه الذي لا يمكن لنا أن نلمحه ، لكن وجوده في السرد لازماً وحتمياً على اعتبار أن السرد لا يتحقق في حالة غيابه ، لذلك فهو غير مشارك في الأحداث ومن الصعب تشخيصه وفي الوقت نفسه من السهل على القارئ الحقيقي أن يتماهى معه أو أن يتصور أن الخطاب موجه إليه [٣].

أما المسرود إليه شبه الظاهري فهو الذي يقع خارج القصة شأنه في ذلك شأن المسرود إليه غير الظاهري إلا إنه يمتلك حضوراً مجسداً على مستوى الخطاب السردي وذلك بمخاطبة السارد له باستعمال ضمائر الخطاب (أنت) و(أنتم) و(إنكم) وغيرها أو استعمال ألفاظ : (يا سامعي) و (يا قرائي) و (يا أصدقائي) وغيرها .

إن هذا النوع من المسرود إليه لا يقوم بأي فعل داخل القصة فهو غير مفسر وغير معلق وغير مشارك في الأحداث لذلك اقتصرت وظيفته على التلقي كما المسرود إليه غير الظاهري .

وسنعتمد هذا التقسيم الثلاثي، الذي أوجده الباحث (رزوقي عباس مبارك)، والذي يعتقد بأنّه الأكثر إيضاحاً وتفصيلاً لأنماط المسرود إليه من غيره من التقسيمات، وبذلك يكون لدينا ثلاثة أنماط من المسرود إليه[٤] وهي:

١- المسرود إليه الظاهري .

٢- المسرود إليه شبه الظاهري .

٣- المسرود إليه غير الظاهري أو الخفي.

وهنالك مسميات وأنماط ومسميات أُخرى للمسرود إليه جمعها الباحث (أحمد رحيم الخفاجي) في رسالته الموسومة بـ(المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث) فهي تنتمي بشكل أو بآخر إلى التقسيم الثنائي الذي اعتمده (جيرالد برنس) في دراسته[٥].

-المسرود إليه في رواياته:

أولاً : المسرود إليه الظاهري :

يُعد هذا النمط من المسرود إليه ، الأسهل تحديداً وتشخيصاً من قبل القارئ إذا ما قُورن بالنمطين الآخرين، فهناك دائما في مقابل السارد مسرود إليه يتلقى السرد والذي بدوره يمتلك حضوراً مجسدا على شكل شخصية قصصية حقيقية داخل النص السردي(٦) .

ويتضح هذا النمط جلياً في بعض أعمال (طه حامد الشبيب) ، ففي رواية (الضفيرة) وهي واحدة من ثلاث روايات للكاتب يقع فيها المسرود إليه الظاهري بمستوى السارد الشخصية ومقابلاً له ، أو بمعنى آخر يقع في المستوى الأول من مستويات الإرسال والتلقي.

يفتتح سرد (الضفيرة) سارد شخصية يروي إلى مسرود إليه ظاهري موجود على مستوى الخطاب حيث يوجه السارد خطابه للمسرود إليه في الصفحة الأولى من الرواية قائلا : " **لم تعد صغيراً يا ولدي وبمقدورك أن تفهم ما أقول سأخبرك بما حل بكوكبنا وأنا أروي قصة حسب الدين وأهله، إنك تكاد تكون فتى وعليك أن تعلم أخبار الأسلاف، وكيف انتهت الحياة إلى ما هي عليه في أيامنا**" (٧).

قَصّ السارد الشخصية (الأب) ، إلى مسرود إليه ظاهري (الأبن) ، ما سمعه من حكاية (حسب الدين) وأهله ، ولم يبق المسرود إليه مستمع لما يسرده له السارد، إنما نجده في عدة مواضع من الرواية يقاطع السارد (الأب)، من أجل أن تتضح الصورة لديه فنراه يسأل قائلاً:" **هل كانت المصابيح كابية أيضا في تلك الأيام** "(٨). أو قد نجده يطرح فكرة ما استنتاجا لما سمعه من السارد (الأب):" **لقد لفت انتباهي يا أبي إلى فكرة لا أدري كيف غابت عن بالي ... لماذا لم تستفد الرجاء بالله من قصة أولئك النسوة فتهدد كما هددت منتفعة من وله حسب الدين بها وحاجته إليها ... أعني إلى مولودها**"(٩) .

وثمّة شيء خر ينبغي أن نوضحه في هذه الرواية ، وهو أن السارد (الأب) ينبه المسرود إليه (الأبن) في العديد من مقاطع الرواية بأن ما يرويه له من أحداث (حسب الدين وأهله)، لم يعشها هو بل سمع بعضها من الشيوخ، قائلاً:" **الواقع إنني لم أره قط ، فلم أكن مخلوقاً بعد حينما كان حيا ، إنما كل من التقيته من الشيوخ ، يوم أحزمت أمري على معرفة القصة الكاملة لحياة ذلك الرجل ، قد أكد لي هذه الأوصاف**"(١٠) ، أو سمع بعضها من أحد المؤرخين :"**يقول المؤرخ الذي أورد الرواية أن عمدة اللجنة قاطعها فرحا** "(١١). أمّا البعض الآخر فَسمِعَهُ السارد (الأب) ممن يسميهم بالثقاة :"**لقد اعترف سمو الدين قبل وفاته لأحد الثقاة الذين أروي عنهم قصتي**"(١٢).

كما نلحظ في هذه الرواية أن ظاهرة المسرود إليه الظاهري تنتظم ضمن عدة مستويات متعاقبة ؛ إذ إنّ التلقي يمر من الشخصيات أو ممن التقى بتلك الشخصيات إلى السارد (الأب)

وصولاً إلى المسرود إليه (الأبن) ، فالفعل الذي أنجزته الشخصيات روته إلى مسرود إليه شاركها الفعل أو التقاها بعد ذلك بقليل ، وهذه الحكايات الثانوية التي ترويها الشخصيات لا تكتسب استقلالها الخاص بها إلا ضمن الإطار العام الذي يسرد فيه السارد (الأب) إلى المسرود إليه(الأبن) .

وتتضح صورة المسرود إليه الظاهري في رواية أخرى من روايات الكاتب ، وهي رواية (مواء) ، فنجد السارد الذاتي البطل (أبو ليث)[١٣] ، وهو الشخصية المركزية في الرواية يوجه خطابه بصورة مباشرة إلى عدد من المسرود إليهم في نصوص كثيرة من الرواية ، مثلا يقول : " **هل ألحت عليكم يوما رغبة للتضرع إلى الله كي ما يبقى شخصا هنا قلب أحدكم إليه ؟ ! ...**"[١٤]. لكن هذا السارد الشخصية (أبو ليث) الذي يروي جل أحداث الرواية لم يعش الأحداث كلّها إنّما حصل على بعضها من شخصيات الرواية لذلك فهو كان متلقياً لبعض الأحداث ، مثلاً يقول : " **روي لي بعد عودتي من البادية أن مريم حين هبطت بأولادها الثلاثة من سيارة الأجرة وارتقت بهم على الفور إلى الطابق الذي تسكن فيه كانت العمارة على موعد شهيق يدخل صدور ساكنيها**"[١٥]. وفي نصوص أُخرى من الرواية نرى السارد (أبو ليث) يوجّه عدة أسئلة إلى المسرود إليه ، لكنه لا يدع المسرود إليه ليجيب عنها أيْ لم نجد أي حوار، أو مداخلة ،أو تعليق ، للمسرود إليه الظاهري ، بل إن السارد الشخصية هو الذي يسأل وهو الذي يعلق وهو الذي يجيب نيابة عن المسرود إليهم . فمثلا نجد السارد (أبو ليث) يقول:" **هل رأيتم من قبل نورة له نكهة ورائحة وملمس ؟ ذلكم ما أعني .. إنه نور جديد .. نور القهر هو** "[١٦].

يبدو لنا أن السارد (أبو ليث) حاوَل استقصاء أذهان المسرود إليهم ومعرفة ما يفكرون به ؛ فهو يسعى لاختراق عقولهم لسبر ردود أفعالهم ، وكذلك حاوَل تفسير ما حدث له ، فهو الذي يبادر بالسرد وفي تفنيد تصور المسرود إليه[١٧].

ويستخدم السارد (أبو ليث) في مخاطبته للمسرود إليهم ضمائر الخطاب تارة ، مثل : (أنتم) و (أنكم) وتارة أخرى يستخدم ألفاظ مثل:(تتصورون)، و(تعلمون)، و(أرجوكم) و(صدقوني)، و غيرها من الألفاظ التي تُسهم في إشراك المسرود إليه في السرد ، وهذا مما يدل على قُرب المسرود إليه الظاهري من السارد الشخصية [١٨].

ويتواصل السارد (أبو ليث) في مخاطبة المسرود إليهم بصورة مباشرة ، مستعملاً الضمائر والألفاظ حتى الصفحات الأخيرة من الرواية حيث نجده يقول " **لابُدَ أن نتانتي زكمت أنوفكم حين ألقيتم القبض علي ... هذي النتانة هي ذاتها التي ضاعت في ذلك الخِضم** "[١٩].

في هذا النص يتضح لنا أنّ المسرود إليهم هم مجموعة من (رجال الأمن) وقد ألقوا القبض على السارد (أبو ليث)؛ لأنه – بحسب تعبيره – جرّد ذلك الرجل أو ما يسميه بالكائن البشري من فحولته.

في هذه الرواية أتضح لنا جلياً دور المسرود إليه في القص حيث نجده في الصفحات الأخيرة من الرواية يتحكم بمصير السارد (أبو ليث) حتى أوصلته الأحداث إلى أن يُلقى القبض عليه، وهذا الفعل الذي قام به المسرود إليه الظاهري بالسارد الشخصية يؤكد للناظر وقوع المسرود إليه بمستوى السارد الشخصية ، وحضوره ليس على مستوى الخطاب فحسب بل ومشاركته في الأحداث أيضاً من خلال الحدث الصامت، أو الفعل الصامت الذي قام به المسرود إليه الظاهري بحق السارد الشخصية وهذا متجلٍ أيضاً في رواية أخرى من روايات الكاتب وهي رواية(المُعْظم) كما سيأتينا .

وتتجلى دراما سردية جديدة بين السارد الشخصية والمسرود إليه الظاهري في رواية (المُعْظم) ففي هذه الرواية يقع المسرود إليه مقابلاً للسارد في المستوى الأول من القص ، إنّ السارد في هذه الرواية هو شخصية البطل المشاركة في الأحداث وأسمه (فاضل محمد علي البلدي) يروي إلى مسرود إليه ظاهري حاضر على مستوى الخطاب في غالب صفحات الرواية ، عن طريق مخاطبة السارد له كقوله:" **وقد كان يوما طويلا كما لاحظتم**"(٢٠) .

في الصفحة الأولى من الرواية نجد السارد الذاتي يوجه خطابة المباشر الى المسرود اليه، الذي لم تتحدد ملامحه النهائية بعد، على الرغم من اننا نلحظ – من صيغة الخطاب– أنه من المستبعد أنْ يكون غير ظاهري ، بوساطة استعماله لفظة (لاحظتم)، وغيرها من الالفاظ التي ستتواتر كثيرا في الرواية مثل (ولكم – وانتم– عندكم– بينكم – معكم – عليكم – بإمكانكم) ، ولم يقتصر استعمال السارد الذاتي لضمائر الخطاب في مخاطبة المسرود إليه الظاهري ، بل أنه يضع المسرود إليه أمام تحديات عديدة في أكثر من موضع من القص كقوله:" **لا لن أتورط بالتوضيح أكثر ، وسأترك لذكائكم تخمين الإجابة وحدسها، ولعل هذا أول تحد أضعه أمامكم ، فاقبلوه ، ستجدونني واضعكم أمام تحديات أخرى وأنا أمضي في القص ، فلا تترددوا في قبولها ، لأنكم جزء لا يتجزأ مما حدث ، ليس مقبولاً أن تتمتعوا بالجلوس على مدرجات الملعب**" (٢١).

ويسأل المسرود إليهم أحياناً قائلاً " **أوليس هذا السؤال ما يلح عليكم في هذه اللحظة؟**" و " **وسيسأل بعضكم (لماذا ؟) وسأستغرب من سؤاله ، لأنكم جميعاً تعلمون إلى مَ آل أمر معظم الناس إبان حكم قائد الدولة المُلهم** "(٢٢) ،وباستمرار السارد الشخصية بالقص تظهر لنا عدد من الإشارات والملامح التي قد تَكشف لنا شكل المسرود إليه،" **لابل انتم من (المُعْظم) وإياكم أنْ تنكروا ذلك ، لا تطأطئوا رؤوسكم ، لا تطأطئوا رؤوسكم ، إنها حقبةٌ وعليكم أنْ تتعايشوا معها**"(٢٣) ،إنّ السارد الشخصية يشعر بخذلان المسرود اليه له فهو مطأطأ الرأس فعلى الجميع (المُعْظم)،أن يتقبلوا تلك الحقبة بما فيهم السارد والمسرود إليه ، وهذا دليل آخر على قرب المسرود إليه من السارد وعلى عمق العلاقة بينهما ؛ فبالإضافة إلى دور التلقي الذي اتضح عن طريق مخاطبة السارد الشخصية مستخدماً الأساليب الطلبية والاستفهامية في سرده ، الاّ أنّ المسرود إليه لم يكتفِ بالإصغاء فحسب بل ؛ ومشاركة السارد البطل،" **فززت أتنبه الى ما أنا فيه الآن : (المُعْظم) باتوا يحتوشونني أنى حطت قدماي ٠٠ وأخطر فئة في هؤلاء (المُعْظم) عليَ طراهم (سُماعي)** .

لقد قصصت على (سُماعي) كل شيء.....لم يخطر ببالي انهم سيهبون يوما في وجهي هبة رجل واحد يتوعدونني بأنهم سيشون بي الى الجهات الأمنية"[٢٤].

وبذلك يكون المسرود إليهم الذين عبّر عنهم السارد بـــ(سُمّاعي) ، لهم حضور مهيمن ودور فعّال في مواجهة السارد سواء على مستوى الخطاب السردي، أم على مستوى المشاركة في الأحداث فهم الذين وشوا بالسارد وأبلغوا الجهات الأمنية وقيادات الجيش الشعبي، لينتهي بالسارد الشخصية معتقلاً وسط مبنى مديرية الأمن لمدينته التي وصفها بالحبيبة !!

أعتقد أنّ المؤلف كان حريصاً على أُنْ لا يكشف عن شكل المسرود إليه إلاّ في الصفحات الأخيرة من الرواية ، بعد أنْ أعطانا إشارات ورموز عن شكل آخر للمسرود إليه في بداية الرواية إلا أننا وجدنا أنفسنا لاحقاً أمام مسرود إليه ظاهري حاضر على مستوى الخطاب عن طريق مخاطبة السارد له وحاضر أيضاً على مستوى الأحداث ليس بالتعليق أو المقاطعة أو الحوار، بل عن طريق(الحدث الصامت) هذا العمل الصامت يَكمنُ بالمشاركة بالأحداث من خلال المساهمة في إلقاء القبض على السارد الشخصية .

وربما تتحول الشخصية في نص روائي ما ، من سارد في المستوى الأول من القص إلى مسرود إليه في المستوى الثاني من القص كما في رواية (عن لا شيء يحكي) ، ففي هذه الرواية يسرد السارد الشخصية ما سمعه من (السارد الذاتي) ، إلى مسرود اليه غير ظاهري ، هذا السارد الأول الذي يصف نفسه في الصفحات الأولى من الرواية بأنه أحد أولئك الأربعة الذين سَيقُصّ عَليهم السارد الذاتي (المشارك في الأحداث) ، في المستوى الثاني من القص،" **وحدنا نحن الأربعة من بين أهل المحلة قد خبرنا ذلك فيه**"[٢٥]، يبدأ السارد الشخصية (حمادي الأعمى) وهو الشخصية المحورية في القصة ، بسرد قصّته التي يسميها بـــ(حكاية عمره كله) ،إلى مجموعة من المسرود إليهم الظاهريين الحاضرين كشخصيات مشاركة في الأحداث في المستوى الأول من القص، فهم رفاق السارد الأول ، أمّا في المستوى الثاني فيتحول السارد الأول مع رفاقه الثلاث الى مسرود إليهم ظاهريين : " **أريد أنْ احكي لكم حكاية ما أدري شنو.. حكاية عن لا شيء .. الأعمى خير من يحكي عن لا شيء ..ها..ما تقولون في هذا الاقتراح؟**"[٢٦] .

فالمسرود إليه هنا يقع في مواجهة السارد مباشرة وفي مستواه ، وحين يعود السارد الأول للقص من خلال الفقرات التي تتخلل السرد بين الحين والآخر، يَذكر لنا موقفه وموقف رفاقه من القص قائلاً:" **ولا نقاطعه . لابل ، نحن الأربعة انفسنا بتنا يراقب بعضنا بعضاً لئلا نفرط في الشراب فيضيع على من يثمل منا فرصة الاستماع الى حمادي**"[٢٧] ، إنَ حضور السارد الأول بوصفه متلقياً في المستوى الثاني من القص كَشف لنا الكثير من المواقف التي قد يصعُب التعرف عليها ، فالسارد الذاتي (حمادي الأعمى) هنا لم يكن أعلى سلطة من المسرود إليهم ولا يحاول أنْ يفرض هيمنته ، إنّما أعطى فرصة للمتلقين ؛ كونهم شخصيات تقع بمستوى السارد الشخصية وقد يطلب رأيهم أحياناً ، يقول السارد الأول " **أقول أنا، ولا أعد كلامي مقاطعة لحكيه لأنه هو الذي طلب رأينا إلاّ اللهم أنّهُ هو نفسه ما يريد يستعيد ذاكرته ..** "[٢٨] فالمسرود إليه هنا بحاجة

الى رأي السارد، ومقاطعته ؛لأنه قد يستعيد ذاكرته ليواصل حكيه بعد تلك المقاطعة من المسرود إليهم .

وفي موضع آخر يَطلب المسرود إليه من السارد التوقف عن القص قائلاً :"**نظرت الى وجوه صحبي الثلاثة، فقرأت فيها انهم يشاطرونني القلق ذاته لذا قاطعت حمادي وطلبت منه التوقف عن الحكي قليلا**"[٢٩] ، ولم يقتصر ذلك على رأي المسرود إليهم بل ويسألهم "**هل مللتم الحكاية ؟.. هل أتوقف؟**"[٣٠] ، فيعرب المسرود إليه عن استغرابه لسؤال السارد (حمادي الأعمى) " **أنا شخصياً فاجأني سؤاله . نظرت الى صحبي. في وجوههم استغراب**"[٣١] .

اذن أتضح لنا من خلال النصوص فاعلية المسرود إليه الظاهري، فدوره لم يقتصر على الأصغاء والتلقي فقط ، بل تعدى ذلك إلى التعليق، والمناقشة، والحوار، وتلك هي من وظائفه، فحاجة السارد إلى رأي المسرود إليه شاهد على ذلك ، وهو ما أعطاه حيوية وثقة عالية في المشاركة مع السارد في جميع أحداث الرواية .

ثانياً : المسرود إليه شبه الظاهري:

هذا النمط من المسرود إليه يقع خارج القصة شأنه في ذلك شأن المسرود إليه غير الظاهري ؛ إلا إنّه يمتلك حضوراً مجسداً في الخطاب السردي، وذلك بمخاطبة السارد له باستعمال ضمائر الخطاب (أنت)، و(أنتم)، و(إنكم)، أو استعمال ألفاظ (يا سامعي)، أو (يا أصدقائي)، أو (يا أخواني) ،و غيرها من الألفاظ التي تكشف حضور المسرود إليه على مستوى الخطاب السردي ، لكنه لا يقوم بأي فعل داخل النص السردي ، فهو غير مفسر، وغير معلق، وغير مشارك في الأحداث ؛ إذاً هو يجمع بين خصائص المسرود إليه الظاهري عن طريق مخاطبة السارد له ، ولكونه يمتلك حضورا على مستوى الخطاب السردي ، وخصائص المسرود إليه غير الظاهري، لكونه يقع خارج الحكاية ، وليس له صوت داخل الخطاب السردي، وهو مما دفع ببعض الباحثين إلى تسميته بالمسرود إليه بين الظاهري والخفي [٣٢] .

ومن روايات (طه حامد الشبيب) التي احتوت على (المسرود إليه شبه الظاهري) روايات (حبال الغسيل) ،و(مقامة الكيروسين) ، و(وديعة ابرام) ، هذه الروايات الثلاث للكاتب التي تجلى فيها هذا النمط من المسرود إليه ، حيث نلحظ السارد (أبو زيد الصحفي) ،في رواية (حبال الغسيل)، وهو الشخصية المحورية في الرواية يستخدم أسلوبين في مخاطبته للمسرود إليه ، فأمّا أنْ يستخدم صيغة الخطاب الضمني: "**حسناً هذا كل ما يمكن وصفه لحد الآن ... وثمة شيء آخر لا أدري مدى أهميته للسامع** " [٣٣] ، أو أنْ يستخدم صيغة الخطاب الصريح : " **إننا كما تعلمون هابطون إلى الضفة الشرقية بعد دقائق لا أكثر**"[٣٤].

وسواء أستخدم السارد الشخصية (أبو زيد الصحفي) صيغة الخطاب الضمني في مخاطبته للمسرود إليه المفرد، أو استعمل صيغة الخطاب الصريح في مخاطبته للمسرود إليه الجمع ، فإن

هذا لا يغير شيئاً من شكل المسرود إليه مع العلم أنّ صيغة الخطاب الجمعي تعطي المسرود إليه صورة مميزة بعض الشيء ، حيث يكون أقرب إلى الحضور منه إلى الغياب ، وكما في قوله:" **دعونا الآن من تأمل ما نرى ونسمع فقد أوشكنا أن ندخل الساحة الكبيرة**"(٣٥).

في هذه العبارة تأكيد من السارد الشخصية (أبو زيد) على الحضور الجماعي لكن هذا الحضور الصريح للمسرود إليه لا يستمر في الظهور إذ يتناوب مع صيغة الحضور المفرد بل إن صيغة الحضور المفرد يستعملها السارد (أبو زيد) في مخاطبته للمسرود إليه أكثر من الصيغة الأخرى .

إن تناوب السارد (أبو زيد) بين صيغة الخطاب المفرد التي تخفي المسرود إليه وصيغة الخطاب الجماعي التي تكشف عن المسرود إليه يدعمنا كثيراً في تسمية هذا النمط من المسرود إليه ، كما نلحظ على السارد (أبو زيد) أنّه يحاول التقرب من المسرود إليه؛ وذلك عن طريق مخاطبته له باستخدام عبارات فيها من التودد والتبجيل والاحترام للمسرود إليه كقوله: **صدقوني كنت غافل تماماً عن هذا الأمر**"(٣٦)، و:" **إنك يا سامعي العزيز لو بكيت كما بكيت أنا فإنك لا محالة تنزف**"(٣٧).

يضاف إلى ذلك استعمال السارد الشخصية (أبو زيد) أساليب (الطلب) في مخاطبته للمسرود إليه ومن هذه الأساليب (الاستفهام)، كقوله:" **هل تصدقون إن هذه التهيؤات التي استبدت بي كانت إلى واقع ما حدث أقرب ؟ وإلا كيف أفسر لكم توقف إطلاق النار علينا لبضع أن اجتاحت الأهزوجة جميع أجنحة المجمع أرضا وسماء ؟ ! "**(٣٨) واستعمل أسلوب طلبي آخر وهو(الأمر)، كما في قوله:" **عيشوا مع هؤلاء القوم ساعة واحدة وستفهمون بالتأكيد ماذا أعني** "(٣٩)، في هذا الشاهد نجد أنّ السارد الشخصية (أبو زيد) استعمل أحد أساليب الطلب من أجل التأثير في المسرود إليه ولجذبه إلى داخل العالم المروي عنه (٤٠).

وشبيهة بهذه الصورة تتوافر في رواية أخرى من روايات (الشبيب) ، وهي رواية (مقامة الكيروسين)، التي يسرد فيها سارد شخصية غير مشارك بالأحداث ، وحاضر على مستوى الخطاب ، إلى مسرودٍ إليه شبه ظاهري يقع خارج الحكاية ، في هذه الرواية التي قسمها المؤلف إلى عدد من الفصول بين مفترضاً ،"**سأدعكم انتم تفترضون وتفترضون فما برح هناك وراءنا مئات المعتقلين لم ييأسوا بعد من بقية رتل النمل المتنزه في صحراء غربي النهر**"(٤١) ، ومؤكداً "**صدقوني، تأكيدات تأكيدات بلا منازع. وثمة تأكيدات تأكيدات آخر ملاقونه أنتم في هذا المقام أيضا**"(٤٢) وفي كلتا الحالتين يكون حضور المسرود إليه شبه الظاهري بوساطة مخاطبة السارد الشخصية باستعمال ضمائر الخطاب (أنتم) و(أنّكم)، وتوظيف عبارات كـ(سأدعكم تفترضون) ،والفاظ كـ(صدقوني) .

أذن يتضح أنّ السارد الشخصية يخاطب مجموعة من المتلقين ، ما يؤكد حضور المسرود إليه الى جانب السارد، ومحاولة السارد إشراك المسرود إليه في خلق الحكاية ، وكذلك يؤكد بأنّ

المسرود إليه ملتحم بالحدث بل وملتصق به ،ويشارك السارد في تخيلاته كقوله "**ولنتخيل سوية ماذا حدث بعد ذلك : الصغار الذين كانوا ملتصقين بالنسوة بغتوا بما اقدمن عليه** "(٤٣) ، وكذلك ما نلمسه في تصوراته كقوله: "**بوسعي أنْ أتصور وبوسعكم أنْ تتصوروا ٠٠تتصوروا والمسؤولية أتحملها أنا كاملة**"(٤٤).

وأحياناً يخاطب السارد الشخصية المسرود اليه شبه الظاهري مستخدماً لفظة (تتساءلوا) " **من حقكم أنْ تتساءلوا ، إذ لم يكن هناك من شاهد سوى سرب الملائكة الخاطرات على تلك البقعة من الأرض في غضون تلك الساعة**"(٤٥)، فبالإضافة الى الدور الأساسي الذي يقوم بيه المسرود إليه وهو الأصغاء ، نجده يشارك السارد الشخصية في التخّيل، والتصور، والتساؤل، والافتراض، والتأكيد ، وهذا ما يؤكد على تداخل أفكار المسرود إليه مع أفكار السارد ، فضلاً عن حضوره الدائم في الخطاب السردي٠

ولم يكتفِ السارد باستعمال الضمائر، والألفاظ في خطابه بل نجدهُ يصف المسرود إليه بالقارئ قائلاً " **القارئ لبيب ولابُدّ أنّه يتساءل أينَ أم غائب مما يجري**"(٤٦) ، إنّ هذا التحول في الخطاب من المتكلم الى الغائب يُعد تقنية جديدة أعتمدها الكاتب لشد انتباه المتلقي، وكذلك توحي الى تقارب شخصيتي السارد والمؤلف وتداخل بعضهما ببعض، وكذلك على تقارب شخصية المسرود إليه مع القارئ الواقعي(٤٧).

وقد يحدد حضور المسرود إليه شبه الظاهري على مستوى السرد من خلال مخاطبة السارد له " **لو كان الموقف يتحمل أنْ أتوقف عن السرد فسأسألكم من منكم يحزر ماذا حصل بعيد تلك الثواني من الزمن الفاجر لفعلت**" (٤٨).

إنّ هذا التنوع في الخاطب من قبل السارد الشخصية يعطي تفويض وتحفيز للمسرود إليه شبه الظاهري للأصغاء، والإنصات، والمداخلة، والمقاطعة، والتأويل وهذا يدل على ثقة السارد بالمسرود إليه ،ولذلك شكل حضوراً محورياً مهماً، وهو أقرب ما يكون لحضور المسرود إليه الظاهري ، إلا أنّه حاضر على مستوى الخطاب السردي فقط.

ويتبين لنا هذا النمط من المسرود اليه في رواية أخرى من روايات الكاتب، وهي رواية (وديعة إبرام) ، والتي يظهر فيها ثلاثة محاور للقص ، كما وتتعدد فيها مستويات الأرسال والتلقي ، يستهل السارد الشخصية خطابه القصير عن الزمن الحاضر في المستوى الأول من القص كقوله: "**الدولاب يلف بالأولاد وهم متشبثون بمقاعدهم يتضاحكون ، تنحدر بهم الدنيا حتى ليكادون يمسون الأرض بسيقانهم المتدلية وتارة تصعد بهم شاهقة فلكأنها تقذف بهم الى حضن السماء٠ وانا اقف غير بعيد اظلل عيني اراقب أرقب الغثيان يسري مني الى صغيري الذي اخذت الصفرة بوجهه**"(٤٩) .

في النص الآنف أكد السارد الشخصية حضوره على صعيد القصة والخطاب من خلال عبارة (**وأنا أقف غير بعيد٠٠**) ، مستعرضاً أحداث من الزمن الحاضر (زمن الأولاد) الى مسرود إليه شبه ظاهري، والذي ستتضح صورته لاحقاً .

بعد ذلك ينتقل ذهن السارد الشخصية إلى الزمن السومري مُطلقاً عليه تسمية (زمن مدينة ليلوم) وذلك في المستوى الثاني من القص قائلاً: "**وعلى هذا النحو كانت الحكاية تمضي قبل اكثر بكثير من خمسة آلاف عام . أمّا الحكاؤون فأربعة كانوا : لوسين ابن لولو، وأوردلا ابن سّرار، ونمخاني ابن ايلوتي ، وأُبار ابن ايلوتي ، وأُوبار ذاك الذي ابوه شوكليتو حاجب الملك ليلوم ، ملك مدينة ابتناها الناس في سومر**"(٥٠).

ومن ثم ينتقل الى زمن آخر وهو (زمن مدينة إيرام)، قائلاً :"**فلقد انسلخت مئات السنين .. لا أقل من أربعة عشر قرناً انطوت بعد تينكم الأيام التي منح فيها الشبُان الأربعة الصانع الكبير أسمه فقالوا إنه الاله آنْ وان مسكنه السماء. لا أقلُ من أربعة عشر قرناً تنطوي بعد تينكم الأيام ، فيرغم تارح أبن ناحور ولدهُ ابرام على الألواح**"(٥١).

وبتواصل سرد الأحداث مع غياب ضمائر الخطاب وألفاظه ، لم نجد أيّة معالم محددة للمسرود إليه ولا صفات معينة كاشفة عنه على امتداد الأحداث فيذهب بنا الظن بأن السرد موجه إلى مسرود إليه غير ظاهري ، إلى أنْ يتجلى لنا ذلك في الربع الأخير من الرواية، وبالتحديد في الصفحة (٣٢٣) ، حيث ظهر لنا مسرود إليه شبه ظاهري بوساطة خطاب السارد الذاتي: "**الغثيان الغثيان ، وليس أي غثيان٠٠ عساكم لا ابتليتم به** "(٥٢) ، إنّه أول خطاب ترجي للسارد يؤدي إلى تحديد صورة المسرود إليه ، وتحديد صفاته وفئته فهم مجموعة من المتلقين يقعون بمستوى السارد الشخصية.

وفي صيغة أخرى من صيغ حضور المسرود إليه شبه الظاهري يشرع السارد لشد أنتباه المسرود إليه وتحفيزه عبر السؤال الآتي: "**فأي عبق بوسع المرء أن يمحوه من رأسه إلا عبقا عبق الزمن ، فما بالكم وأعباق أزمان تختلط في رأسي ببعضها البعض، تقترب من بعضها بعضاً ، وتتشابه حد التوحد بعضها البعض؟**"(٥٣).

إنّ الأسئلة التي يوجهها السارد قد لا تستدعي الإجابة من المسرود إليه ، فإذا أجاب فهو مسرود إليه ظاهري، وأنْ لم يجب فالسارد هو الذي يتكفل بالإجابة نيابة عنه كاشفاً عن شخصية المسرود إليه ونمطه (٥٤).

وفي موضع آخر من الرواية وهو ليس ببعيد عن الموضع الأول خاطب السارد الشخصية المسرود إليه شبه الظاهري في المستوى الأول من القص مستعملاً نفس صيغة الترجي في خطابه إذ قال:" **في مدينة الألعاب اذ لف بالأولاد وصغيري بينهم ٠٠ انه غثياني الأول ، انما على نحو لم أألفه ٠٠فعساكم لا ابتُليتم به**"(٥٥)، ان إشارات الخطاب هذه -على الرغم من قلتها- إلاّ أنّها كشفت لنا عن نوع المسرود إليه، وهو جماعة من المتلقين يقعون خارج القصة.

تجدر الإشارة أنّ الكاتب أعتمد على تقنية التحوّل في السرد بلسان السارد الشخصية في خطابه للمسرود إليه شبه الظاهري ، من المخاطب إلى التكلم الى الغيبة ، أو بالعكس ، وهو ما يسمى (بأسلوب الالتفات) ، الذي عرفه الزركشي(ت٧٩٤هـ) بأنه "هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدراراً للسامع وتجديد لنشاطه ، وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه كما قيل لا يصلح النفس إن كانت مصرفة إلا التنقل من حال الى حال "[٥٦]، فثمة إلتفاتاً في رواية (حبال الغسيل) ، من الغيبة في لفظة (السامع) ، الذي تواتر ذكرها في العديد من صفحات الرواية، الى الخطاب في قوله (تعلمون ، تصدقون ، عيشوا ، دعونا)، الى أسلوب التكلم (نرى ، نسمع ، ينبغي لي، أتناول ، أصف) ويتكرر هذا الأسلوب في رواية (مقامة الكيروسين) أيضاً ، وبنسبة أكبر على مستوى التنوع في الخطاب ، فحين يتحدث السارد الشخصية عن نفسه مستعملاً أسلوب المتكلم (مخيلتي، أنا الراوي) ، أو يستعمل أسلوب الخطاب (حقكم ، سأدعكم ، تصوروا ، لا تسألوني ، لا يذهبن بكم الظن) ، ثم يعود ليطلق على المتلقي (بالقارئ) ، بأسلوب الغيبة ، على العكس من رواية (وديعة ابرام) إذ نجد السارد الشخصية يخاطب في مواضع قليلة من النص السردي ، ومتكئاً على أسلوب واحد فقط هو أسلوب الخطاب، كـ(عساكم ، ابتليتم ، بالكم) إذْ لم يستعمل أسلوب المتكلم أو الغيبة في خطابه للمسرود إليه شبه الظاهري٠

إنّ هذا التنوع والتحول في أسلوب الخطاب الذي اعتمده الكاتب أضفى جمالاً ورونقاً للسرد بل وأعطاه حيوية ونشاطاً، كما أنّه يوقظ السامع وهذا ما يزيد من قيمته، وأهميته لدى القارئ الواقعي ٠

ومن وظائفه أيضاً يشد انتباه المتلقي وإمتاعه ، ودفع السآمة والملل إذا استمر الخطاب على أسلوب واحد، ووتيرة واحدة ، فالكلام الجاري على نسق واحد قد يُشعِر القارئ بالملل، فضلاً عن كسر النمطية والرتابة التي قد تلازم قارئ النص السردي ، وسواء أستعمل السارد أساليب التكلم أو الخطاب أو الغيبة ، فهو في كل الأحوال وجّه خطابه إلى مسرود إليه شبه ظاهري حاضر على مستوى الخطاب السردي [٥٧].

أخيرا أتضح لنا أنّ المسرود إليه في هذه الروايات التي تجلى فيها المسرود إليه على هذا النمط، أمّا أنْ يتجلى في شكل شخصية مفردة أو جماعة من المتلقين يخاطبهم السارد باستعمال الضمائر أو الألفاظ ، ورغم استعمال السارد لبعض التقنيات الأُخرى كاستعماله أساليب الالتفات، و الطلب، والاستفهام يبقى المسرود إليه شبه ظاهري لأنه غير مشارك في الأحداث، ولا يعلق، ولا يتحاور مع السارد الشخصية، ولا يبدي رأيه على ما يسمعه، لأنّه غير حاضر على مستوى الأحداث ؛ بل اقتصر حضوره على مستوى الخطاب السردي مقابلاً للسارد .

ثالثاً : المسرود إليه غير الظاهري (الخفي):

عندما لا تتم مخاطبة المسرود إليه بصورة مباشرة ، بمعنى عدم استخدام ضمائر أو ألفاظ معينة توضح شكل المسرود إليه ، فإن المسرود إليه ها هنا يبقى غامضاً، وخفياً ولا يمكن إلماحه ، لكن وجوده لازماً ؛ كونه طرفاً للتلقي مقابلا للسارد وهو طرف الإرسال .

هذا النمط من المسرود إليه هو الأقرب إلى القارئ من النمطين السابقين ؛ فبإمكان القارئ الحقيقي أن يتماهى معه، أو أن يتصور أن الخطاب موجه إليه [٥٨].

ويتجسد هذا النمط من المسرود إليه في غالب روايات الكاتب، كـ(الأبجدية الأولى)، حيث يفتتحها سارد كلي العلم قائلاً :" **على إحدى طبقات الأرض ، وقبل أن تزأر الطبيعة وتهيل التراب والصخور عليها ، فتتراص وكأنها ظلام أبيدي تكدس القدر ، كان سنار يشهد من فوق تل الخمسة الذين كانوا يسلحون تكبل معاصمهم سلسلة واحدة** "[٥٩].

بالإضافة الى ذلك تروي بعض شخصيات الرواية بصورة غير مباشرة للمسرود إليه غير الظاهري ، ولكن قبل ذلك يؤطر السارد الموضوعي حوار الشخصيات، وما تسرده من حكايات مضمّنة مستخدماً عبارات منها : (قال له)، و (وهي تقول)، و(هو يقول)، و(قال ذلك) وغيرها من العبارات .

يقول السارد الموضوعي مثلاً: " **ثم توقف واستدار مواجهة الجمع وانشأ يهتف فيهم : "سحقا لأيلا وكاهنة التعيس ولندم علينا نعمة السيد رلاسيم والكاهن المقدس جرن .. لن يجرؤ أحدكم ويجحدني شرف كوني أول من خلع تعظيم إيلا في هذا اليوم المبارك** " [٦٠].

كما يؤطر السارد الموضوعي حوار الشخصيات بعبارة أخرى كقوله : " **فقال له بلهجة واثقة وجرس متسلط : إن كنت تقصد ماذا تعني فعلا فلم لا تدعني وصاحبي نعود إلى قريتنا ذلك إننا لم نتسبب لكم بأذى بعد .. هذه هي إنما الرأفة التي يمكن أن يفهمها الجميع** "[٦١].

هذا الراوي الموضوعي (الخارجي) يروي إلى مسرود إليه غير ظاهري ، فهو غير محدد الملامح والصفات ، ولا تجري الإشارة إليه ، ويقع خارج الحكاية التي تُسرد، وهو لا يختلف عن السارد الخارجي الموضوعي الذي ليس له علاقة بما يسرده سوى الإرسال، أما المسرود إليه فعلاقته الوحيدة هي التلقي ، يقول السارد الموضوعي مؤطراً الفصل الرابع من الرواية : " **ارتفاع رمح أو نحو ذلك هو كل ما كان قد تبقى للشمس أن تتخطاه قبل ان تنزلق خلف أفق أفولها، فاشتعلت السماء وقتئذ ولفعت بحمرة لهبها وجوه سكنة منثاما وواجهات أكواخها** "[٦٢].

إنّ السارد العليم (الخارجي) يقوم بنقل الحكاية ويقوم بوصف الأماكن، والأحداث، و الشخصيات و أفعالها، كما يقوم بنقل حوارها بلغتها وبلسانها ، اما المسرود إليه غير الظاهري فلا يقوم بأي فعل سوى الأصغاء سواء تلقى من السارد الموضوعي أم من شخصيات الرواية .

ومن روايات (الشبيب) التي يكون فيها المسرود إليه من النوع غير الظاهري (الخفي) رواية (خاصرة الرغيف)، إذ يقوم بمهمة السرد في هذه الرواية سارد خارجي موضوعي ، هذا السارد الكلي العلم يحاول أن يخترق عقول الشخصيات ، وأن يطلع على دواخلها ، ويقوم أيضا بتقديم

الأحداث والشخصيات لمسرود إليه ليس له صفات محددة ، ولا ملامح واضحة، ويقع خارج الحكاية كالسارد الخارجي ليس له علاقة مباشرة بها.

يفتتح السرد في هذه الرواية، وكما هو الحال في أغلب الروايات التي يتجلى فيها سارد غير ظاهري ومسرود إليه غير ظاهري بالوصف حيث يصف السارد الخفي رحلة (هاني) في الحافلة ، قائلاً:" **أشاح بناظره عن نافذة الحافلة المنطقة الفازعة مثل سارق ، وتوقف عن قضم رغيف الخبز الذي استله قبل قليل من حقيبته الرمادية** "(٦٣) .

ومثلما لهذا السارد غير الظاهري السلطة الكاملة في الاطّلاع على بواطن الشخصيات ، فإن للمسرود إليه السلطة الكاملة أيضاً ؛ لأنه يستمد سلطاته من السارد ، وذلك حين يتلقى ما يسرده له السارد سواء أكان يتلقى ما في بواطن الشخصيات، أم بما تقوم به من أفعال ، ولأنّه غير ظاهري ويقع خارج القصة فإن ذلك يعطيه إمكانية أنْ يتخذ موقفاً حيادياً تجاه ما يروى له من أحداث ، لأنّه غير معني بصورة مباشرة بها وليس له علاقة مباشرة بصنعها .

هذا السارد العليم العارف بكل شيء يسرد الأحداث بصورة مباشرة للمسرود إليه الخفي ، وقليلاً ما نجد الشخصيات تتحدث بلسانها ، إذ إنّ أغلب ما تمر به الشخصيات من أحداث يرويها السارد للمسرود إليه بلغته هو لا بلغة الشخصيات ، مثلا يقول السارد الموضوعي واصفاً (هاني) وهو يقصّ على أمّه وأخواته ما فعله والده (بكران) في الكليّة :" **فهرع هاني بعد سويعات سابقاً بكران إلى البيت ومن فوره طفق يقص على أمه وأخياته ، كان إبراهيم ملتصق بصدر أمه وفكاه الادردان يعضان على حلمة ثديها ، أجل كذلك كان أبوه ماذا يظن بأبيه إذن ؟**"(٦٤).

وعندما يسرد (بكران) لزوجته (بهرة) ولعائلته يقول السارد الموضوعي : " **بكران الذي يرى بأن ما من دابة تدب على أرض يسير هو عليها إلا وشعر بأنّ ثمّة ما يربطه بمصيرها . قال ذلك يوما لهاني وأخواته وبهرة تستمع بانبهار**"(٦٥).

أمّا حين تروي الشخصيات الأخرى ما مر بها من أحداث فإن السارد الموضوعي يقول: "**قمرة روت ما حدث لها ومهاوي روت ما نالها وكذلك فعلت منتهى ورجاء**"(٦٦).

وهكذا يستمر السارد الموضوعي في سرد أحداث (عائلة هاني)، بما فيها الحكايات المضمنة والفرعية التي ترويها الشخصيات، وتتلقاها فيما بينها ، وحتى الأفكار التي تنتاب شخصيات الرواية أثناء الأحداث فإن السارد يقصّها على المسرود إليه غير الظاهري ؛ لأنّ السارد عليم بكل أحداث الرواية سواء أكانت هذه الأحداث خارجية أم أفكاراً داخلية على شكل حوار داخلي (منولوج داخلي) ، يقول " **هاني يفكر الآن عنها ، فقد كانت كما يرى هاني ، تعيش في كنف أمل ظليل .. إنّها حتى لتخشى أن تتقدم بأية خطوة فلربما أجهزت تلك الخطوة على الأمل**"(٦٧).

هنا يتقبل المسرود إليه ما يرويه له السارد في رحلته داخل أذهان شخصيات الرواية ، كما ويستمد معلوماته من السارد الذي يمتلك قدراً كبيراً من المعرفة في ما تفكر به الشخصيات،

ويضاف الى ذلك قابليته على التنبؤ بما سيحدث ، على العكس من المسرود إليه الذي ليس له دور سوى التلقي(٦٨).

كما يستعمل السارد الأساليب الطلبية المباشرة التي يتوجه بها إلى المسرود إليه ، ومن هذه الأساليب : الاستفهام حيث نجد السارد يستخدم هذا الأسلوب في أغلب صفحات الرواية ، وسواء أكان هذا السؤال يطرحه السارد الخارجي بصورة مباشرة كما في قوله:" **لماذا تطيل بهرة النقاش ؟ ... ألا يكفيها ، لتصدق أن بكران قد صمت تماما لحظتئذ كما صمت الجميع من حوله ؟** ".(٦٩) أم ما تتساءله شخصيات الرواية عندما يقص أحداها للأخرى : " **كلما رآها واقفة ترنو ببصرها المصطخب بصمته . ماذا ؟ هل هيبة بكران مما جعلها تتهالك هكذا على الأرض ؟ أم إنها حسبت أن لا أحد يعلم بملوكتها . وإذا ها تفجأ بمن يدهمها وهي وسط ملوكتها .... ؟ لقد سخر بكران من زوجته حين اقترحت الاحتمال الأول** "(٧٠).

كما يستخدم السارد الخارجي (أسلوب التعجب) في مخاطبة المسرود إليه غير الظاهري ، قائلاً : " **فقد صمم أن يدخل بالزفة حرم الكلية . ودخل بالزفة حرم الكلية ! ما حدث بعد ذلك فإن هانياً ليستشعر تورد وجنتيه كلما استذكر مشاهده** " (٧١) .

وقد وصل السارد الموضوعي لدرجة أنّه جَمع أكثر من أسلوب في بعض مقاطع الرواية ، فعلى سبيل التمثيل لو أخذنا هذا النص الآتي من الرواية سنجده يجمع بين الأسلوب الطلبي متمثلاً بالاستفهام والجملة التعجبية وذلك على لسان بعض شخصيات الرواية كقول (صاحب المطعم الذي نزل إليه (هاني) ومن معه في الحافلة للاستراحة) : " .... **مسافرون ! هه ! لقد صدقوا إنهم مسافرون ... إذا كانوا ما زالوا هنا في بلادهم وليس في جيوبهم ما يكفي لأن يجعلهم يسألون عن شيء آخر غير المرحاض فكيف بهم وهم هناك ؟ ! .. إلى أين ذاهبون ؟ إلى الأرصفة ؟ ... هه ! مسافرون ! لا تسريح بعض العمال ، مسافرون ! لا مكان لهم غير الأرصفة** " (٧٢).

وقد يقدح في الذهن سؤال مفاده ، ما علاقة هذه الأساليب (الطلبية)، و الجملة (التعجبية) بالمسرود إليه غير الظاهري ؟ والإجابة هي أن (السارد العليم) ذو المعرفة الكلية يستخدم تلك الأساليب والجمل لتساعده في تفعيل دور التواصل بينه وبين المسرود اليه، عندما لا يجد شخصية مجسدة يخاطبها كما هو الحال في المسرود إليه الظاهري ، كما تساعده هذه الأساليب على جذب المسرود إليه غير الظاهري إلى داخل العالم المسرود عنه(٧٣).

إذن نستطيع أن نقول: أنّ السارد يمكن يخاطب المسرود إليه غير ظاهري عن طريق بعض الأساليب الطلبية وغير الطلبية.

كما تجلى هذا الشكل من المسرود إليه في رواية أخرى من روايات (الشبيب) ، وهي رواية (الحكاية السادسة) ، إذ أفتتح سرد الرواية – كما هو الحال في أغلب الروايات التي يكون فيها مسرود إليه غير ظاهري – سارد كلي العلم يروي ما تمر به الشخصيات من أحداث، ويقدمها

للمسرود إليه ، وإلى جانبه تروي شخصيات الرواية بعضها لبعض، ويسبق ذلك تأطير السارد الموضوعي لكل ما ترويه الشخصيات ، يقول السارد الموضوعي واصفاً الشخصيات وهم في الحافلة :" **كانوا محشورين حشراً في الحوض الذي لا يغطيه سقف .. صبيات وصبية كانوا محشورين حشراً والصبح ما زال منقوعاً ببرودة الفجر**"(٧٤).

نرى أنّ السارد الموضوعي العليم يروي لمسرود إليه غير ظاهري يقع خارج القصة ، إلى جنبه شخصيات الرواية تروي بعضها لبعض، بمعنى إنّ كلاً من السارد والمسرود إليه الظاهري هما من شخصيات الرواية ؛ لكنهما يقعان في المستويات الثانوية الواقعة أدنى من المستوى الأول الذي يقع فيه السارد غير الظاهري والمسرود إليه غير الظاهري.

فإذا روت (حلوم) – وهي الشخصية الرئيسة في الرواية– أطرَ السارد العليم ما ترويه قائلاً: "**وما استطاعت بباقي تجديفه وهي تروي لصميدع** "(٧٥).

وعندما يروي (جميل) رؤياه لـ(حلوم) يقول السارد الموضوعي : " **وقبل أن يمدوا أيديهم إلى فطورهم قصَّ عليها جميل ما رأى في منامه عن طلاع**"(٧٦).

وحين يروي (صميدع) يقول السارد الموضوعي :" **يروي صميدع لحلوم نفسه منسحلاً وراء مختار حتى بلغ الأخير التلة الترابية وقدس الأنقاض العسكرية الذي استتر وراءه الجندي ورفيقه ومدفعهما** "(٧٧).

وعندما تروي (شيرين) يقول السارد العليم:" **لقد قصّت شيرين كل ذلك .. كل ما حدث بالضبط ... قصته لحلوم يوم عادت هذه بعد شهر تقريبا من اليوم الذي لا ينسى**"(٧٨).

نلحظ في ضوء النصوص الآنفة أنّ السارد الموضوعي (العليم) كانت لديه السلطة الكاملة على كل ما ترويه الشخصيات، بما في ذلك الحوار أو الكلام المتبادل فيما بينها ، فهذا الأسلوب الذي أستعمله السارد الموضوعي في نقل الأحداث للمسرود إليه غير الظاهري ؛ لأن الأخير لا يملك أية صفة شخصية أو خصائص اجتماعية في الرواية ، فلا هو بالجيد، ولا بالرديء ،ولا هو بالمتشائم، ولا بالمتفائل أي أنّه لا يعرف أي شيء عن الوقائع أو الخصائص المذكورة ، وهو غير مطلع على الدلالات الإيحائية في بعض العبارات ولا يدرك ما يمكن أن يثيره هذا الحدث أو ذاك ، ولهذا يحاول السارد العليم أن يسرد الأحداث بشيء من التفصيل لإعانة المسرود إليه غير الظاهري على فهمها خصوصاً العبارات التي لا يستطيع أن يؤولها (٧٩).

إن السارد العليم في هذه الرواية يصف فقط ولا يحاول إظهار نفسه؛ إذ يصف الشخصيات ويصف مكانها الذي تعيش فيه ويتابع أفعالها ، كل هذا يصفه للمسرود إليه غير الظاهري (الخفي) فوظيفته تلقي كل ذلك بصورة متساوية .

وهكذا نستطيع أن نخمن حضور هذا النمط من المسرود إليه ، من بعض الأساليب الطلبية وغير الطلبية المباشرة التي يتوجه بها السارد إلى المسرود إليه ، كالاستفهام والنداء والأمر

والتعجب وغيرها، كما يمكن أن نشخصه بحضور عبارات الاستدراك والتوكيد ولفت الانتباه التي يقصد بها إقناع المسرود إليه غير الظاهري[٨٠]. ومع كل ذلك يبقى هذا الشكل غامضاً ولا يمكن تشخيصه بسهولة لذلك فهو الأقرب إلى القارئ الحقيقي الذي يستطيع أن يتماهى معه ويتصور أنّ الخطاب موجه إليه.

خاتمة البحث ونتائجه:

يتضح مما ذكرناه من دراستنا لأنماط المسرود إليه لعدد من روايات (طه حامد الشبيب) قد توصلنا الى النتائج الآتية:

١- لمْ يتبعْ المؤلف نظاماً محدداً يسير عليه في رواياته ،إنما جاءت أعماله متباينة ومختلفة الأنماط فإذا كان المسرود إليه غير الظاهري قد تجلى في رواياته الأولى كـ(إنه الجراد)، و(الأبجدية الأولى)، التي حاكى بها الروايات العربية التقليدية القديمة .

٢- أما روايته الرابعة وهي(الضفيرة) فقد أعطتنا كما تعطينا أغلب الروايات العربية الجديدة مسرود إليه ظاهري موجود على مستوى الخطاب.

٣- كما لمسنا مسروداً إليه غير ظاهري يقابل ساراداً خارجياً وتجلى ذلك في روايات (خاصرة الرغيف)، و(الحكاية السادسة)، قبل أن يعطينا مسروداً إليه ظاهريا موجوداً على مستوى الحكاية وذلك في رواية (مواء) ،

٤- ومن ثم نجد أنفسنا مرة أخرى أمام مسرود إليه غير ظاهري يقابل ساراداً شخصية وذلك في رواية (عن لا شيء يحكي) .

٥- قبل أن نشخص نمطاً أو نوعاً ثالثاً وهو المسرود إليه شبه الظاهري في روايات(حبال الغسيل) و(مقامة الكيروسين) و(وديعة ابرام) .

الهوامش:

(١) ينظر: السردية في النقد الروائي العراقي من ١٩٨٥ إلى ١٩٩٦ ، أحمد رشيد الدرة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ١٩٩٧م ،٢١٦ . والمصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث ، أحمد رحيم الخفاجي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية - جامعة بابل ،٢٠٠٣ م، ١٨٣، والمروي له في قصص جاسم عاصي ورواياته ، ناهضة ستار جواد ، محمد حليم حسن مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل ، العدد :١٨ ، ٢٠١٤ ، ١٨٢ ، والقارئ والمروي له محاولة لفض الاشتباك ، حسن سرحان ، الموقع على الأنترنت :www.alantologia.com

(٢) ينظر: الصوت الآخر" الجوهر الحراري للخطاب الأدبي "، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٩١م . ١٣٢ -١٣٤، المروي له في الرواية العربية الجديدة ، الشكل ، الموقع ، الوظيفة ، رزوقي عباس مبارك ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٤ م : ١٦ .

(٣) ينظر: السردية العربية ، عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢: ١٠٧ ، والمصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث : ١٨٣.

(٤) المروي له في الرواية العربية الجديدة : ٦ .

(٥) ينظر : المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث : ١٨٤ - ١٨٥ ، والسردية في النقد الروائي العراقي : ٢١٦.

(٦) ينظر: الصوت الآخر : ١٣١ - ١٣٨ .

(٧) الضفيرة ، طه حامد الشبيب ، منشورات المنصور ، بغداد ، ١٩٩٩ : ٥ .

(٨) م . ن : ١٠ .

(٩) ن . ن : ١٣٣ .

(١٠) م . ن : ٨.

(١١) م . ن : ١٦ .

(١٢) م . ن : ١٨ .
(١٣) تجدر الإشارة إلى أننا تعاملنا مع كنية الأسماء بالرفع في حالتي النصب والجر أيضا استنادا إلى ما تتعامل به الحكاية .
(١٤) مواء ، طه حامد الشبيب ، مطبعة القبس ، بغداد ، ٢٠٠٢ : ١٦ .
(١٥) م . ن : ١٠٣ .
(١٦) م . ن : ٢٠٨ .
(١٧) ينظر : المروي له في الرواية العربية الجديدة : ٤٥.
(١٨) ينظر : المروي والمروي له في القصة القرآنية ، رياض جباري شهيل ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢، ٢٠٧.
(١٩) مواء : ٢٥٨ .
(٢٠) المعظم ، طه حامد الشبيب ، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ط ١ ،٢٠١٣: ٥.
(٢١) م . ن : ٥٠ .
(٢٢) م ، ن : ٤٢ .
(٢٣) م ، ن : ١٤٩ .
(٢٤) م . ن : ٣٤٠ .
(٢٥) عن لا شيء يحكي ، طه حامد الشبيب ، إصدار الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، ط١، ٢٠١٩: ٥.
(٢٦) م . ن : ٩.
(٢٧) م . ن : ٢٩.
(٢٨) م . ن : ٧٦.
(٢٩) م . ن : ١٤١.
(٣٠) م . ن : ١٤٧.
(٣١) م ، ن : ١٤٧.
(٣٢) ينظر : المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث : ١٨٤ .
(٣٣) حبال الغسيل ، طه حامد الشبيب ، مطبعة القبس ، بغداد ، ٢٠٠٥. ٦ : ٦ .
(٣٤) حبال الغسيل : ٦ .
(٣٥) م . ن : ٢٠٥ .
(٣٦) م . ن : ١٨١ .
(٣٧) م . ن : ٢١٠ .
(٣٨) م . ن : ١٠٩ .
(٣٩) م . ن : ١٤٩ .
(٤٠) ينظر: الاقتضاء السردي في حبال الغسيل لطه حامد الشبيب ، بحث اشترك به الدكتور قيس حمزة فالح الخفاجي في ملتقى السياب الثاني للرواية العراقية ٩ - ١١ كانون الثاني ٢٠٠٧ م ، جامعة البصرة : ٢ ، ٣ .
(٤١) مقامة الكيروسين: ١٥٢.
(٤٢) م . ن : ١٩٢.
(٤٣) مقامة الكيروسين، طه حامد الشبيب ، إصدار مركز تواصل لبحوث التنمية والحوار المدني، ط١، ٢٠٠٧ : ٢١ .
(٤٤) م . ن : ١٤٧.
(٤٥) م . ن : ١١٧.
(٤٦) م . ن: ٦٢.
(٤٧) ينظر : المروي والمروي له في القصة القرآنية : ٢٠٧.
(٤٨) مقامة الكيروسين: ١٦٣.
(٤٩) وديعة إبرام ، طه حامد الشبيب ، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان ، ط١، ٢٠١١ : ٥
(٥٠) م . ن : ٥.
(٥١) م . ن : ٩٥، ٩٦.
(٥٢) م . ن : ٣٢٣.
(٥٣) م . ن : ٣٢٣.
(٥٤) ينظر : نقد استجابة القارئ، من الشكلانية الى ما بعد البنيوية، تحرير جين ب تومبكنز، ترجمة حسن ناظم ، علي حاكم، مراجعة وتقديم د. محمد جواد حسن الموسوي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، ١٩٩٨، ٦٢.
(٥٥) وديعة ابرام : ٣٢٤.
(٥٦) البرهان في علوم القران، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دمشق – سوريا، ١٩٨٣، ج٣، ٣١٤.
(٥٧) ينظر : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، دار الفكر العربي، ١٩٩٨، القاهرة، ٢٨،٤٢،٥١.
(٥٨) ينظر : المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث : ١٨٤ والمروي له في الرواية العربية الجديدة : ٢٣ .
(٥٩) الأبجدية الأولى ، طه حامد الشبيب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٦: ٥ .

(٦٠) م . ن : ٩٧ .
(٦١) م . ن : ١١٨
(٦٢) م . ن : ٤٧ .
(٦٣) خاصرة الرغيف ، طه حامد الشبيب ، منشورات المنصور ، بغداد .٢٠٠٠. : ٥ .
(٦٤) م . ن : ٢٠ .
(٦٥) م . ن : ٣٣ .
(٦٦) م . ن : ٣٩ .
(٦٧) م . ن : ٢٧١.
(٦٨) ينظر : المروي له في الرواية العربية الجديدة : ٩٩ .
(٦٩) خاصرة الرغيف : ٧٩ .
(٧٠) م . ن : ٣٢ .
(٧١) م . ن : ١٩٩ .
(٧٢) م . ن : ١٩٩.
(٧٣) ينظر : الاقتضاء السردي في (حبال الغسيل) لطه حامد الشبيب : ٣ .
(٧٤) الحكاية السادسة ، طه حامد الشبيب ، دار عشتار للنشر، القاهرة ، ٢٠٠١ : ٥.
(٧٥) م . ن : ١٢١.
(٧٦) م . ن: ٥١.
(٧٧) م . ن: ١٠٩.
(٧٨) م. ن : ١٧٠.
(٧٩) ينظر: نقد استجابة القارئ، من الشكلانية الى ما بعد البنيوية :٧٠ .
(٨٠) ينظر : الصوت الاخر : ١٤٣.

المصادر والمراجع:

أولاً : الروايات

- الأبجدية الأولى ، طه حامد الشبيب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٦.
- حبال الغسيل ، طه حامد الشبيب ، مطبعة القبس ، بغداد ، ٦ .٢٠٠٥.
- الحكاية السادسة ، طه حامد الشبيب ، دار عشتار للنشر، القاهرة ، ٢٠٠١ .
- خاصرة الرغيف ، طه حامد الشبيب ، منشورات المنصور ، بغداد .٢٠٠٠.
- الضفيرة ، طه حامد الشبيب ، منشورات المنصور ، بغداد ، ١٩٩٩ .
- عن لا شيء يحكي ، طه حامد الشبيب ، إصدار الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، ط١ . ٢٠١٩.
- المعظم ، طه حامد الشبيب ، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ط ١ ،٢٠١٣.
- مقامة الكيروسين، طه حامد الشبيب ، إصدار مركز تواصل لبحوث التنمية والحوار المدني، ط١، ٢٠٠٧ .
- مواء ، طه حامد الشبيب ، مطبعة القبس ، بغداد ، ٢٠٠٢.
- وديعة إبرام ، طه حامد الشبيب ، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان ، ط١ ، ٢٠١١ .

المصادر:

- الصوت الآخر" الجوهر الحراري للخطاب الأدبي "، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٩١.
- السردية العربية ، عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢.
- نقد استجابة القارئ، من الشكلانية الى ما بعد البنيوية، تحرير جين ب تومبكنز، ترجمة حسن ناظم ، علي حاكم، مراجعة وتقديم د. محمد جواد حسن الموسوي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، ١٩٩٨.
- البرهان في علوم القران، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دمشق – سوريا، ١٩٨٣.
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨.

المجلات والبحوث:

- الاقتضاء السردي في حبال الغسيل لطه حامد الشبيب ، بحث اشترك به الدكتور قيس حمزة فالح الخفاجي في ملتقى السياب الثاني للرواية العراقية ٩ - ١١ كانون الثاني ٢٠٠٧ .
- المروي له في قصص جاسم عاصي ورواياته ، ناهضة ستار جواد ، محمد حليم حسن مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل ، العدد :١٨ ، ٢٠١٤.

الرسائل والأطاريح :

- السردية في النقد الروائي العراقي من ١٩٨٥ إلى ١٩٩٦ ، أحمد رشيد الدرة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ١٩٩٧.
- والمصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث ، أحمد رحيم الخفاجي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية - جامعة بابل ،٢٠٠٣ .

❖ المروي له في الرواية العربية الجديدة ، الشكل ، الموقع ، الوظيفة ، رزوقي عباس مبارك ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٤.

البحوث من المواقع الإلكترونية:

❖ القارئ والمروي له محاولة لفض الاشتباك ، حسن سرحان ، الموقع على الأنترنت :www.alantologia.com .